نحو استراتيجية

جديدة للتربية في البلاد العربية

انعقد بصنعاء (اليمن) المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب من 23 – 30 ديسمبر سنة 1972 . وبهذه المناسبة اصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية وثيقة هامة اعدها كل من الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، والدكتور محمد الهادي عفيفي ، والدكتور محمد سيف الدين فهمي ، والدكتور محمد احمد الغنام .

وقد رسم معدو الوثيقة في دراساتهم المختلفة « استراتيجية جديدة للتربية والتعليم في البلاد العربية » على ضوء التحديات والصراعات التي يواجهها المجتمع العربي المعاصر حتى يتمكن من العبور بقوة وسرعة الى التقدم المنشود والى أوضاع تعليمية بناءة تسعى الى تنمية الثروة البشرية كلها . وليس الى فئة محدودة منها بحيث تصبح قادة على مواجهة هذه التحديات التي تقف في سبيل تقدم الامة العربية » .

ومن التحديات التي سجلتها الوثيقة والتي تواجه امتنا العربية ، تحدي النمو السكاني بما يصحبه من خلل ديمغرافي مع عدم توازن في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في معظم الاحوال ، وهناك الصراع ضد التخلف طلبا لحياة عصرية متقدمة ، والصراع ضد التجزئة طلبا للوحدة ، والصراع ضد التناقض الثقافي والاجتماعي طلبا للوحدة الثقافية وتجددها ، ولتكامل المجتمع وانسجامه ، والصراع ضد الصهيونية والاستعمار تحريرا للوطن وتمكينا للانسان العربي من الانطلاق بنفسه وبمجتمعه على طريق التقدم » .

ويمكن عرض الوثيقة في النقط التالية :

1 – بدات الوثيقة في تحليل ضاف للصراعات والتحديات التي تعيشها الامة العربية ، واولى ملامح هذه التحديات : **النمو السكاني** ، حيث بلغ المعدل المرتفع منه في الستينات من هذا القرن الى 3 ٪ سنويا ، وينتظر ان يتجاوز في السبعينات هذه النسبة ويقفز مجموع سكان البلاد العربية من 124 مليون نسمة سنة 1970 الى 172 مليون نسمة سنة 1980 . وهذا النمو يؤثر سلبا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويزيد من حدة مشكلاتها ، وغالبا ما ياتي على الجهود التربوية ويأكل جزءا كبيرا من عائدها » .

وعلى هذا الاساس تنوه الوثيقة بضرورة الاخذ في الاعتبار بهذا الامر ، عند رسم سياسات التعليم واستراتيجيته وبنيته ومحتواه والتخطيط له .

وثاني هذه الملامح : **ظاهرة الهجرة من القرية الى المدينة** ، التي تنتج عنها مشكلات اجتماعية خطيرة .

ثالث هذه الملامح : **عدم اتزان توزيع السكان الجغرافي** ، بحيث يتكتلون في مساحات دون اخرى .

والملمح الرابع : **تركيبهم العمري الذي ينحاز نحو الاطفال .**

ولهذه النسبة المرتفعة من الاطفال داخل سكان البلاد العربية تاثيرات مهمة فى العرض والطلب على التعليم ، مما يجعل العبء اثقل على التعليم وقد نوهت الى هذه الظاهرة الخطيرة الامم المتحدة غير مرة .

— **الصراع ضد التخلف :**

بينما يضاعف العالم المتقدم خطاه على الطريق نحو الامام ما زالت الامة العربية تخوض معركتها ضد التخلف بجميع اشكاله ، مما يجعل الهوة تتسع بين هذه البلاد وبينها من البلاد النامية .

وتشير الوثيقة الى : « انه فى الوقت الذي تملك فيه البلاد العربية موارد اقتصادية وامكانات مادية مؤهلة وتراثا حضاريا عريضا ، فضلا عما يتوافر حولها من اسباب المدنية الحديثة ، فان جمهرة ابنائها لا يقومون بمستوياتهم الثقافية المنخفضة على استثمار هذه الموارد والامكانات والتراث بما يدفعهم الى طريق التقدم بالسرعة المرجوة » .

كما اشارت الوثيقة الى الوان اخرى من الصراعات كالمتناقضات الثقافية والاجتماعية ، فعلى الرغم من مظاهر الوحدة وتوافر عناصر التجانس الثقافي المتماسك الاجتماعي — على الرغم من ذلك — فان الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية قد خلقت منها تفاوتات وتباينات ارتفع بعضها الى حد التناقض والصراع بالاضافة الى عوامل اخرى كالصراع بين القديم والجديد ، والتناقض القائم بين ثقافة الريف والحضر ، ومسالة توزيع الثروة الخ .

ومما يزيد من هذه الصراعات جميعا الهزيمة المريرة التي يعيشها العرب فى الوقت الذي يتوفر لديهم كافة الامكانيات لمحوها وتخطيها .

وتلخص الوثيقة الى القول الى ان هذه التناقضات برمتها تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع المجتمع وجزءا من ثقافته ، مؤكدة ضرورة حسم كل الخلافات ومواجهته كل الصعاب حتى تتحول كل تلك الملاحم الى مجالات للتفاعل الصحي بين الافراد وعاملا من عوامل التماسك الاجتماعي والتكامل الثقافي .

— **الصراع ضد التجزئة :**

توضح الوثيقة كيف ان الاستعمار سعى دائما الى تشتيت شمل الوحدة العربية واثارة النعرات على اختلافها ، فيما بينها ، واستغل الاستعمار هذا الانقسام والتفكك ليجعل فلسطين ارضا تقوم عليها دولة اسرائيل المغتصبة .

كما اشارت الوثيقة الى ان «العقود الثلاثة الاخيرة **قد اكدت ان الوحدة ينبغي لها بجانب سعيها الى اتقان لغتها والاعتزاز بتاريخها والاحتفاظ بتراثها والتمسك بقيمها الاصلية ، أن تاخذ بالعلم والتكنولوجيا فى صورهما التقدمية على اوسع نطاق** ، كما اكدت ان الصراع القائم حاليا بين الامة العربية والصهيونية والاستعمار ليس مجرد صراع عسكري او سياسي فحسب . وانما هو فى الحقيقة صراع حضاري شامل ينبغي ان يلعب فيه التعليم دورا مركزيا .

وبعد دراسات وافية لواقع التعليم فى البلاد العربية والاستراتيجيات الموجهة له ، انتقلت الوثيقة الى رسم استراتيجية جديدة للتربية فى البلاد العربية»

ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية فى اربعة عناصر متكاملة — حسبما جاء فى مقدمة الوثيقة نفسها — وهي :

ا — التغيير التقدمي الشامل فى التربية الذي يقوم على تصحيح رؤية جديدة للتعليم كل التعليم ، تلتقي الجهود التربوية على تحقيقها من اكثر من موقع فى النظام التربوي ، وذلك كبديل لاستراتيجية الاصلاح الجزئي الذي يبقي التقديم مع بعض التعديلات او الاضافات فى جانب من جوانب التعليم او مستوى من مستوياته .

ب — تعليم المجتمع كل المجتمع ، كباره مثل صغاره ، بمؤسساته المدرسية وغير المدرسية ، وذلك كبديل لاستراتيجية تعليم الصغار قبل الكبار بل على حساب الاخيرين فى المدارس .

جـ ــ الاهتمام بجودة التعليم أسوة بكمـــة ، أو دون فصل بين الكم والكيف ، وذلك كبديل لاستراتيجية الكم مع اهمال الكيف على حسابه .

د ــ الاتجاه التربوي العربي الواحد الذي يبـــدأ بالالتقاء على ملامح رؤية تعليمية جديدة على المستوى القومي تتحول بها نظم التعليم فى البلاد العربية قولا وفعلا ، الى نظم تربوية عربية حقيقيـــة ، ويتحقـــق بتجسيدها فى الواقع تعبئة التعليم فى كل موقع عربي لتجديد الثقافة العربية وتحويل المجتمع العربـــي الى مجتمـــع عصـــري .

كما انه بفضل هذا الاتجاه تجتمع للبلاد العربيـــة على اعمال مشروعات تربوية مشتركة وتنسيق خططها التعليمية وجهودها العلمية ، واولا واخيرا تبذل جهود مشتركة لتمكين الفلسطينيين العرب من ان يكون لهم تعليمهم الذي يمكنهم من مواصلة النضال واسترداد حقوقهم وبناء فلسطين الجديدة .

وتصر الوثيقة على انها ليست فى الواقع سوى مجرد فتح باب حوار طويل وعميق امام السادة وزراء التربية والتعليم العرب ، ومن ورائهم من مختصيـــن وفنيين وخبراء ومعلمين .

وتشير فى الاخير الى انه لا بد بعد الحـــوار ، والالتقاء على العناصر الاساسية للاستراتيجية الجديدة ــ بعد تنقيحها وربما تعديلها ــ لا بد لها من ضمانـــات لوضعها مو ضع التنفيذ وهذه هي الضمانـــات التـــي ساقتها الوثيقة تحقيقا لذلك :

— تبني القيادات السياسية للاستراتيجية وتعبئتها الجهـــود لتنفيذهـــا .

— البحث العلمي فى عناصر الاستراتيجية المقترحة والقيام بتجارب طليعية قبل التوسع) تنفيذها .

— التخطيط الكفء لتنفيذ الاستراتيجية الجديدة مع مواصلة البحث والمراجعة فى مشكـــلات التنفيذ والتطـــور .

— تطوير الادارة التربوية وتكثيفها وتعبئتها بمـــا يتلاءم مع طبيعة الاستراتيجية الجديدة ويوفـــر لها الكفاءات القيادية فى التوجيه والتنفيذ .

— اعادة النظر فى برامج اعداد المعلمين وتدريبهم فى ضوء مفاهيم الاستراتيجية الجديدة ومطالبها ليكونوا اداة فعالة فى تنفيذها .

— توعية المجاهير بالاستراتيجية الجديدة وفتـــح باب الحوار فى عناصرها وخصائصها واهدافها ووسائل تنفيذها .

— اعادة النظر فى توزيع المواد المالية المخصصة للتعليم فى ضوء مطالب الاستراتيجية الجديدة والاستخدام الامثل لهذه المـــوارد ، مع فتـــح المجال للمبادرات الشعبية والدعم المادي مـــن جانب الافراد والجماهير .

— الاستعانة بالخبرة العالمية والمساعدات الدولية وبخاصة من جانب منظمـــة اليونسكـــو ، فى التحرك على الطريقة الجديدة بنجاح وكفاية .